أمرٌ حَتْمِيٌّ جُسُورُ التَّواصُل بين الشَّرقِ والغَربِ أمرٌ حَتْمِيٌّ

ألين لُورْوَا(*)

شكرًا جزيلًا للأب «فيتوريو ياري»، وشكرًا جزيلًا للسَّيِّدِ «أندريا ريكاردي» ولمجلس حكماء المسلمين؛ لأجلِ هذه الدَّعوةِ، إنَّه لَشرفٌ عظيمٌ أن نكونَ هنا، وأن نَتحاوَرَ معًا جميعًا، كما قالَ السيدُ «أندريا»، وإنَّه لَشرفٌ عظيمٌ أيضًا أن نكونَ هنا معَ شخصيَّةٍ كبيرةٍ كفضيلةِ الإمامِ الأكبرِ أحمد الطَّيِّب شيخِ الأزهرِ، والآنَ اسمَحُوا لي أن أُواصِلَ كَلِمَتي باللُّغةِ الإنجليزيَّةِ.

أَتوجَّهُ إليكم جميعًا بالشُّكرِ لإتاحةِ الفرصةِ لي بالتَّحدُّثِ، نيابةً عنكم جميعًا بعدَ كلمةِ السَّيِّدِ الرَّئيسِ، وهو أمرٌ ليسَ هيِّنًا، فهو أحدُ الأصواتِ المسموعةِ في مجالِ القضايا الأوروبيَّةِ، وسأُحاوِلُ أن أَلتزِمَ في حِواري أن أكونَ عُضوًا مُتواضِعًا، كما أشارَ الإمامُ الأكبرُ شيخُ الأزهرِ.

ولن أَتطرَّقَ في حِواري إلى النِّقاشِ عن الشَّرقِ والغربِ، فقد وَصَفَ كلٌّ مِن «الإمام الأكبر شيخِ الأزهرِ» و«أندريا ريكاردي» هذه العَلاقةَ وصفًا بالغَ الدِّقَّةِ، لكنِّني -وبالنِّيابةِ عنكم، ولكَونِنا ممثِّلينَ عن الاتِّحادِ الأوربيِّ للسِّياساتِ الخارجيَّةِ- لن أتحدَّثَ عن حوارِ الأديانِ، وإن كنَّا نَدعَمُهُ، لكنَّنا نهتمُّ بحِوارِ الثَّقافاتِ والحضاراتِ.

كما نَعلَمُ -وحتَّى نكونَ صريحينَ؛ فإنَّ هناك الكثيرَ مِن التَّحدِّيَاتِ الَّتي تُواجِهُنا- فإنَّ الحوارَ قيمةٌ مِن قِيَمِ الاتِّحادِ الأوربيِّ، والَّتي تُعنى بتَرسيخِ مَعاني الإنسانيَّةِ الَّتي نَسعى إليها جميعًا؛ إنَّنا نُواجِهُ كثيرًا من التَّحدِّيَاتِ الَّتي نُحاوِلُ عَقدَ حواراتٍ بخُصوصِها معَ أصدقائِنا مِن مُختلِفِ مَناطقِ العالَمِ.

إنَّنا نَحمِلُ جميعًا هذه القِيَمَ، لكنَّنا نريدُ أن نُناقِشَها معَ أصدقائِنا، خاصَّةً أصدقاءَنا مِن الشَّرقِ، كما نَفعَلُ اليومَ.

إنَّنا نُؤمِنُ بالطَّبعِ بقِيَمِ حرِّيَّةِ الاعتقادِ، وهو ما أعتقدُ: أنَّنا جميعًا هنا نشتركُ في هذا الإيمانِ، وكذلك حرِّيَّةُ التَّعبيرِ، وكما تعلمونَ فهناك اليومَ جدلٌ قائمٌ -حتَّى في الاتِّحادِ الأوروبيِّ- بشأنِ الحرِّيَّةِ المُطلَقةِ للتَّعبيرِ أو احترامِ دِينِ الآخَرِ ومُعتقداتِهِ.

وأنا أُريدُ أن أُركِّزَ على نُقطتَينِ:

كيف يُمكِنُنا أن نَدعَمَ حوارَ الأديانِ والثَّقافاتِ دَعمًا كامِلًا ومُستمِرًّا كما هو الحالُ اليومَ؟

وبالطَّبعِ فإنَّني -ونيابةً عن الاتِّحادِ الأوربيِّ- أَرغَبُ في التَّعبيرِ عن بالغِ تَقديري لهذا العملِ بخصوصِ الحوارِ بينَ الحضاراتِ معَ «سانت إيجيديو»

و«مجلس حكماء المسلمين»، كما أَرغَبُ في أن نَرى ذلك في مُختلِفِ دُوَلِ العالَمِ، ونحن نُقدِّرُ هذه الأعمالَ أينما كانَت.

وبالنِّسبةِ إلى الحوارِ، قُمنا بدَعمِ العديدِ مِن المُبادَراتِ، مِثلُ مبادرةِ تَحالُفِ الحضاراتِ والَّتي دَعَى لها «كوفي عنان» معَ كلٍّ مِن إسبانيا وتركيا، كما قُمنا بدَعمِ مُبادرةِ «KAICIID» «مبادرةِ المَلِكِ عبدِ اللَّهِ لحوارِ الأديانِ والثَّقافاتِ».

ونَدعَمُ أيضًا حملةَ «الوَحدةُ ضدَّ العنفِ بِاسْمِ الدِّينِ»، والَّتي اتَّفَقَت عليها جميعُ الأديانِ، وهناك أيضًا العديدُ مِن المُبادَراتِ الأُخرى الَّتي نُسانِدُها، سواءٌ بالمُشارَكةِ أو بالدَّعمِ بطُرُقٍ عديدةٍ، ويُمثِّلُ هذا المؤتمرُ خيرَ مِثالٍ لذلك، وخاصَّةً كلمةَ الإمامِ الأكبرِ الَّتي ستَظَلُّ محفورةً في ذاكرةِ الجميعِ.

وفي الوقتِ نَفسِهِ -ولكوننا اتِّحادًا سياسيًّا- فإنَّنا نَعقِدُ حواراتٍ معَ العديدِ مِن الهيئاتِ السِّياسيَّةِ خارجَ نطاقِ حدودِنا، ونقومُ بحوارٍ بشكلٍ يوميٍّ معَ العديدِ مِن المُنظَّماتِ، مِثلُ منظَّمةِ المؤتمرِ الإسلاميِّ، والجامعةِ العربيَّةِ، والاتِّحادِ الإفريقيِّ، ومجلسِ التَّعاوُنِ الخليجيِّ، وكلِّ الدُّوَلِ بصفةٍ عامَّةٍ.

نحن نَتَّبِعُ ما يُطلَقُ عليه سياسةُ الحوارِ، وذلك للتَّأكيدِ على أنَّ أوربَّا تُمثِّلُ الضَّامِنَ الأمنيَّ والسِّلميَّ لجيرانِها على قدرِ المُستطاعِ، وليسَ بالضَّرورةِ أن تَنجَحَ دائمًا في ذلك، إلَّا أنَّها تُحاوِلُ جاهدةً.

وكما ذَكَرتم، فإنَّ الوسيلةَ الَّتي يَتأتَّى بها إحلالُ السَّلامِ قد نُوِّهَ إليها، ويُمكِنُكم أن تَضرِبوا مِثالًا يَحتذي به الآخَرون، ونَسعى في هذا الحِوارِ إلى توظيفِ سياستِنا؛ لتحقيقِ جميعِ القِيَمِ المُرتبطةِ بالتَّعليمِ، ومُحارَبةِ الأُمِّيَّةِ -كما أشارَ إلى ذلك الإمامُ الأكبرُ- ومدِّ جسورِ التَّواصُلِ والحوارِ بينَ الشَّبابِ.

جديرٌ بالذِّكرِ أنَّه لَدينا بَرنامجٌ يُشجِّعُ على تفعيلِ سُبُلِ التَّواصُلِ والالتقاءِ بينَ الشَّبابِ مِن مُختلِفِ أنحاءِ العالَمِ، ومنها مَنطِقةُ البحرِ المتوسِّطِ وأوروبَّا، كما تُوجَدُ لَدينا برامجُ أُخرى تَضمَنُ حرِّيَّةَ الإعلامِ.

أَوَدُّ أن أُشيرَ إلى النُّقطةِ الأُخرى، أَعتقِدُ أنَّها شديدةُ الأهمِّيَّةِ، وتَتمثَّلُ في قُدرتِكم على القيامِ بشيءٍ ذي قيمةٍ إضافيَّةٍ.

إنَّنا نَعتقِدُ أنَّ هناك جَدَلًا مُثارًا حولَ المسئولِ عن بَدءِ الصِّراعِ والتَّوتُّرِ بينَ الأديانِ والمُجتمَعاتِ، فالبعضُ يقولُ في كثيرٍ مِن الحالاتِ -وقدِ استَدعَيتُ أَمثلةً عديدةً في ذاكرتي- بأنَّ النِّزاعاتِ تَزيدُ حِدَّةَ التَّوتُّرِ بينَ الأديانِ والعِرقيَّاتِ أكثرَ مِن أن يَخلُقَ الدِّينُ والاختلافُ العِرقيُّ هذه النِّزاعاتِ.

وهذا ينطبقُ على حالاتٍ كثيرةٍ، يُمكِنُني أن أَسرُدَ لكم بعضَ الأمثلةِ، أَعتقِدُ أنَّ شخصًا قد أشارَ إلى «البوسنةِ» و«سراييفو»، قبلَ نُشوبِ الصِّراعِ في

«سراييفو»، فقد كانَ الانصِهارُ عن طريقِ الزَّواجِ بينَ ثُلُثِ السُّكَّانِ في سراييفو يَحدُثُ بين المسلمين والكاثوليك والأرثوذكس، ولكن نظرًا لِنُشوبِ صراعٍ في سراييفو، انخفَضَ هذا المُعدَّلُ بدرجةٍ كبيرةٍ، فمَن الَّذي خَلَقَ هذا ؟

إنَّه النِّزاعُ المسئولُ، وليسَ الدِّينَ، فقد كانَ سلامٌ مِن قبلُ؛ وذلك لأنَّ العَلاقةَ بينَ الأديانِ جليَّةً وسهلةً.

وإليكم مثالًا آخَرَ، ألا وهو لبنانُ؛ فجميعُنا يَعلَمُ أنَّه عندَما غَمَرَ السَّلامُ أرجاءَ لبنانَ، حلَّ الانسجامُ بينَ الأديانِ.

وهناك مِثالٌ آخَرُ، ألا وهو سوريا، ولستُ هنا بصددِ الحديثِ عمَّن يَتحمَّلُ مسئوليَّةَ اشتعالِ فتيلِ الصِّراعِ هنا، ولكن مِن الواضحِ أنَّه -نتيجةً لهذا الصِّراعِ- أَضحى وضعُ بعضِ الأقلِّيَّاتِ يُنذِرُ بخطرٍ وشيكٍ.

وإليكم مِثالًا آخَرَ، ألا وهو اليمنُ، علَى مَدارِ عقودٍ مِن الزَّمانِ، كانَ هناك تَعايُشٌ بينَ السُّنَّةِ والشِّيعةِ في ظلِّ أجواءٍ أَخويَّةٍ، وأنا لا ألومُ هنا مَن بَدَأَ النِّزاعَ، ولكن نَظَرًا لوقوعِ هذا النِّزاعِ، اتَّسَعَت الفَجوةُ بينَ المُجتمَعاتِ في اليمنِ، وهذا يُثيرُ القَلَقَ بداخِلِنا.

واستنادًا إلى هذه الأمثلةِ، يُمكِنُني القولُ إنَّه عندَما تُوجَدُ صراعاتٌ في دُوَلِنا وعندَما تَتصاعَدُ حِدَّةُ الفقرِ، يَنشَأُ النِّزاعُ والتَّعصُّبُ في المُجتمعاتِ، خاصَّةً المجتمعَ الدِّينيَّ، بينَ الأديانِ والعِرقيَّاتِ والأقلِّيَّاتِ.

لقد كنا نُعِدُّ أوروبَّا لإدراكِ حقيقةِ الأشخاصِ الَّذين حطَّمُوا جسورَ التَّواصُلِ بينَ الأديانِ والمُجتمَعاتِ، ولهذا السَّببِ، يجبُ أن تُعزِّزَ سياستُكم الخارجيَّةُ هذا الحوارَ لمنعِ نُشوبِ صراعاتٍ؛ فعلى سبيلِ المِثالِ، في «البوسنةِ» بَذَلنا الجهودَ لتعميمِ السَّلامِ في أنحائِها، وقد تَحقَّقَ هدفُنا بالفعلِ؛ ولكن في سوريا نَعلَمُ أنَّه يَتوجَّبُ علينا أن نَعرِضَ تقديمَ المساعدةِ للحدِّ من مُستوى القتالِ والعنفِ غيرِ المقبولِ.

وبالنِّسبةِ لليمنِ، مِن المقرَّرِ عقدُ مؤتمرٍ تحتَ رعايةِ الأُممِ المتَّحدةِ في «جِنيف» في ١٤ يونيو، وحريٌّ بالمجتمعِ اليمنيِّ أن يَقِفَ على أرضٍ مُحايِدةٍ، كما أنَّنا نَشعُرُ بسعادةٍ غامرةٍ بمُوافقةِ الطَّرَفَينِ على حضورِ هذا المُؤتَمَرِ في «جينيف»، تحتَ رعايةِ الأُمَمِ المتَّحِدةِ.

وفى ليبيا فإنَّنا نُحاوِلُ أن نَدعَمَ الوَحدةَ الوطنيَّةَ، فهناك حالاتٌ كثيرةٌ في سياستِنا الخارجيَّةِ نَتبنَّى فيها سياسةَ منعِ النِّزاعِ، ونَرغَبُ في مدِّ جسورِ السَّلامِ والتَّواصُلِ بينَ المجتمعاتِ.

ولا أُريدُ أن أُطيلَ عليكم، فهناك أمثلةٌ كثيرةٌ، ولكن هناك شخصيَّاتٌ عظيمةٌ سوفَ تَتحدَّثُ مِن بَعدي، تُريدُ أن تُسهِمَ في السَّلامِ والحوارِ بينَ المُجتمَعاتِ.

وفي الختامِ، أَوَدُّ أن أُعرِبَ عن السَّعادةِ البالغةِ الَّتي أَشعُرُ بها عندَما أَلمِسُ تأييدَ الكثيرِ مِن رجالِ الدِّينِ للسَّلامِ والتَّسامُحِ.

إنَّنا نَتوقَّعُ منكم ومِن رجالِ الدِّينِ أن تكونوا أكثرَ إقدامًا على تَولِّي زِمامِ المُبادَرةِ في إدانةِ العُنفِ الَّذي يُرتَكَبُ بِاسمِ الدِّينِ، واليومُ يُعتبَرُ بدايةً جيِّدةً لذلك.

شكرًا لحضراتِكم!